

العمارة والزخرفة في الحضارة الرومانية



:: إعداد ::

تدري به عبد الرحمن الخلف

➤ إهداء . .

إلى كل عشاق الفن في العالم الإسلامي
الباحثين عن عبق الماضي
وقوة الحاضر و متعة المستقبل
أهدي هذا الموضوع
الذي أتمنى أن يحوز على رضاه سبحانه
ثم استحسنكم ، ودمتم . .

◀ المقدمة . .

نشر الرومان في العالم والآداب والفنون اليونانية وساهموا هم شخصياً في بناء الطرق والجسور والحمامات والمسارح والمعابد في أرجاء الأرض التي كانت تحت نفوذهم .

وسبب اختيار الموضوع يعود إلى أن الحضارة الرومانية جمعت عدة فنون وتأثرت بها فكانت مزيج رائع ، فقد احتوت على الفنون الإغريقية والأتروسكانية فضلاً عن اليونانية وبلاد العراق ومصر وغيرها من تلك الحضارات .

◀ المراجع . .

- ✍ الموجز في تاريخ الفن القديم (محمد حسين جودي)
- ✍ مدارس الفن القديم (د . عائدة سليمان عارف)
- ✍ الفنون الزخرفية . (محي الدين طالو)
- ✍ عمارة الحضارات القديمة (د . صالح لمعي)

العمارة :

العمارة ، مثلها مثل الحضارة الرومانية ، لم تكن تهتم بالبحث عن الجمال التصويري ، وإنما كانت تفكر بحل المشاكل اليومية ، هذا الرأي لا يمكن أن نطبقه تطبيقاً حرفياً على الفن الروماني ، فالمدرسة الرومانية تبنت الكثير من الملامح الأتروكسية والإيطالية واليونانية ، وكلها امتزجت ودمجتها العبقرية الرومانية لتخرج لنا ملامح خاصة .

لكن هناك تساؤل دائم ؛ وهو : (لماذا عاشت العمائر الرومانية هذه السنوات العديدة؟) والجواب هو : أن ذلك يرجع إلى المواد التي استعملها الرومان في أبنيتهم ، خاصة اكتشاف المسلح وإن كانت هذه الطريقة البنائية كانت معروفة في بلدان الشرق الأدنى غير أنها استخدمت في بناء الحصون دون غيرها ، لقد استخدم الرومان بداية الأمر الحجر المسامي المعروف بـ **Tupa** ، وهي صخور بركانية تختلف درجة صلابتها ، أما المصلح فقد صنعوه من المواد الحجرية الموجودة في **Pazzoli** ، وهو ذو لون بركاني محمر ؛ وبمزجه بالرمال يتكون الاسمنت الصلب ، وإلى جانب صلابته فإنه لا يتأثر بالنار ، وإلى هذا تعود الأرضية المزخرفة الممتازة في داخل المساكن في بومبي وروما ، مثل بيت نيرون الذهبي .

وقد اهتمت العمارة الرومانية بالمظهر الخارجي وبالفراغ الداخلي وظهر العمود كنعصر زخرفي في تشكيل الحوائط مرتبط بالحائط أو بعيد عنه سواء من الداخل أو الخارج ، وأصبح وضع الأعمدة في الشكل الخارجي غير مرتبط بالمبنى وغير معبر عن محتوياته الداخلية ، ونرى أمثلة ذلك : قصر تراجان بمدينة تيمجاد بالجزائر في نهاية القرن الثاني الميلادي ، وفي واجهة مكتبة مدينة أفيزوس بتركيا ، والتي استعملت بها أعمدة تشكيلية تبعد عن الحائط بحوالي ١،٥٠ متر .

وحلت الحوائط الحاملة بدلا من الأعمدة ، كما استخدمن القباب والقبوات مما ساعد في تغطية مسطحات كبيرة باستخدام الطوب .

وقد احتفظت العمارة الرومانية بمظاهر العمارة الاتروكسان حتى بعد إعلان الجمهورية عام ٥٠٩ ق.م وفي القرن السادس قبل الميلاد أخذت العمارة الرومانية كثير من عناصر العمارة اليونانية وخاصة في الشكل الخارجي وفي نفس الوقت استمرت هذه العمارة في التطور حتى أخذت طابعاً مميزاً لها حوالي عام ٢٠٠ ق.م سواء في العناصر المعمارية ، أو في طرق الإنشاء ، واستمر هذا التقدم حتى فترة بداية العصر المسيحي الأول ، وقد استعمل الرومان الأعمدة فقدت وظيفتها الأساسية كعنصر إنشائي حامل ، وأصبحت مجرد عنصر زخرفي ملتصق بالحائط أو بالأكتاف ، ولها وظيفة جمالية فقط ، بالإضافة إلى الطرز الثلاث الدوري والأيوني والكورنثي استحدثت في عمارة الأتروكسان والرومان طرازين وهما التوكسان (Toscan) والمركب (Composite) ، والعمود التوكسان شديد الشبه بالدوري وقد استخدمه الأتروكسان في حمل إنشائهم الخشبية.

مميزات العمارة الرومانية القديمة :

١. استعمل الرومان كثيراً الأعمدة الإغريقية بأشكالها الثلاث المشهورة :
(الأيوني - الكورنثي - الدوري) .

إلا أن الرومان أضافوا فيما بعد عدة أشكال أخرى مثل :
(العامود المركب - العامود التوسكاني) .

٢. كان الرومان يستعملون الحجر المنقوش لتحديد النوافذ والأبواب .

٣. وبالإضافة لاستعمال الخرسانة أهمية كبيرة في بناء الجدران ، وقد كانت الجدران تغطي بمادة الرخام الناعم على شكل طلاء -دهان من بودرة الرخام- ثم يقومون بالرسم والزخرفة على هذه الجدران .

٤ . استعمل الرومان في بادئ الأمر الأسقف اليونانية الخشبية المائلة ، إلا أنهم بعد ذلك تطورت لديهم أساليب استعمال العقود -الأقواس التي أخذوها عن الحضارة الأتروكسانية- وطورت كذلك لديهم أساليب البناء باستعمال الأقبية -أخذت من الحضارة المصرية القديمة ومن الحضارة العراقية القديمة- لتتصور لديهم إلى ما يسمى بالقباب وأصبحت أساسية في فن وأساليب العمارة الرومانية التي زادت في اتساع القاعات لعدم حاجتها إلى الكثير من الأبنية .

٥ . استطاع الرومان التحرر من أشكال المساقط الأفقية المستطيلة التي كانت معروفة في طرز الحضارات القديمة -وادي النسل والعراق القديم واليونان- لتصبح في عهدهم ذات أشكال مميزة مثل المساقط الأفقية المستديرة ، والبيضوية والمصلعة .

٦ . لقد كان لانشغال الرومان بالفتوحات ، ولعدم تعلقهم الكبير بالأديان أثر كبير على تطوير فنون العمارة وبالأخص عمارة المسارح والأسواق والحمامات وبناء طرق والقناطر وقنوات الري .

٧ . أخذ الرومان من الحضارة الأتروسكانية بناء الأقواس -الخطوط المنحنية- .

٨ . أخذ الرومان من الحضارة اليونانية فن بناء المعابد والأعمدة والخطوط المستقيمة .

٩ . ومن هاتين الحضارتين نشأ الفن الروماني وخاصة فن العمارة .

واهتم الرومان بالأبنية الخاصة ومنها :

١ . المعابد .

٢ . بناء المسارح .

٣ . بناء الحمامات .

٤ . بناء الطرق وقنوات الري .

٥ . بناء البازيليكا .

٦ . الفوروم .

٧ . بناء أقواس النصر .

٨. بناء القبور والأضرحة .

• فنون التصوير والنحت والزخرفة :

عندما بدأ الرومان في غزو بلاد الإغريق وولاية آسيا ، حملوا منها إلى روما كميات كبيرة من المصنوعات والروائع الفنية الإغريقية التي استولوا عليها عن طريق النهب ، وقد كان الجنود الرومان العائدون من الحرب في اليونان تشبعت نفوسهم بذكريات تلك الروائع التي شاهدوها في المدن الإغريقية العظيمة ، واستحوذت على مشاعرهم وأحاسيسهم .

ولم يبد الرومان أصالة في الفن إلا في نوعين اثنين هما : النحت البارز ، والتماثيل النصفية الرأس ، والنقوش البارزة على أقواس الأعمدة ، تلك النقوش التي امتزجت بالتوافق والانسجام الإغريقي ، وبالواقعية الرومانية ؛ فأخرجت تحفاً فنية رائعة .

ومن أهم مميزات الزخرفة :

١. استخدام ورقة الافنئة الرأسية والحلزونية .
٢. استعمال خيوط مموجة ومزخرفة تنبثق مع أجسام آدمية .
٣. رسوم حيوانية خيالية بجانبها زخارف مختلفة .
٤. زخرفة مستمدة من هياكل عظيمة لرؤوس الثيران .
٥. تغطية الجدران المبنية والمؤسسة بالملونة .
٦. النقش على الألوان على الجدران المغطية حديثاً بالجص .
٧. استعمال الفسيفساء في تغطية السطوح .

يستنتج مما تقدم أن الرومانيين أخذوا كثيراً من فنونهم الزخرفية عن الإغريق ، وكان ينقصها الكثير من المميزات التي سمت بالفن الإغريقي إلى أرقى الدرجات .

واستمر في تقليد التماثيل اليونانية ، وكذلك بالنسبة للنقش ، ومن التماثيل المشهورة :

تماثيل القياصرة مثل يوليوس قيصر ونيرون ... وغيره .

تمثال رامي القرص .

ولقد تأثر الرومان كثيراً باللوحات الأتروكسانية التي كانت تزين قبورهم -قبور الأتروكسان- وقد أخذ الرومان عنهم هذا الفن ، فرسموا المناظر الطبيعية بالألوان الزاهية على جدران بيوتهم وعلى جدران الحمامات العامة وكانوا يرسمون مناظر على حائط كامل فيظهر وكأن الجدار غير موجود ، أما الزخارف فقد كانت مستمدة من أشكال الفواكه والمزروعات والرموز الحربية .

وأشهر المدن التي برزت في رسم هذه الجداريات هي مدينة يومبي في جنوب إيطاليا التي دمرها بركان فيزوف .

دعنا نعالج منذ البداية لهذا الفن الروماني ، كلمتي "الفن الروماني" ، فهاتان الكلمتان اصطلاح خاطيء التعبير ، فالفن الروماني هنا في بدايته رمز في بدائي ساذج للمجهود الإنساني الذي عالج أفكار ضباب الأطلنطي ؛ المتدرجة في تشكيل واسع ، وسار يعالج الشمس المشرقة في آسيا ، خلال تعبير معقد للأفكار ، إلى غير ذلك من التطلع إلى هلنستية مستريحة ، ثم إلى الإيحاء الصعب للعصور الوسطى ، فهو فن دائري سار في الفلك المذكور ، كما قدر له أن يسير .

إن الفن الروماني هو الإنتاج المتنوع الذي أبدعته جماعة في مراكز متباعدة خلاقة .

لقد رأى البعض أن هذه المنحوتات جافة ، وتختلف مواضعها عن رسوم
المهرجانات المتواضعة في الباراثون ، إن جفافها راجع إلى الهدوء والاطمئنان ،
أي إلى المجتمع الغير قلق ، الوثائق من نفسه .

وفي ختام هذا الموضوع نصوغ بعض الأمثلة من العمارة الرائعة التي تميزت
بها الحضارة الرومانية في ذلك الوقت :





